نماذج من التراث الثقافي ببلاد زيان من العصر الوسيط إلى الزمن الراهن

دراسة وتثمين

د. جواد التباعي

دكتوراه في التاريخ والتراث
جامعة سيدي محمد بن عبدالله
فاس - المملكة المغربية

بيانات الأطروحة

أطروحة لنيل الدكتوراه الوطنية في العلوم الإنسانية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس

الباحث: جواد التباعي
إشراف: الدكتور الحاج موسى عوني
التخصص: التاريخ والتراث
المناقشة: ٢٠٢١
الصفحات: ٥٨٠ صفحة.

كلمات مفتاحية:
التراث الثقافي المادي؛ التراث الأركيولوجي؛ الذاكرة التاريخية؛ العمارة السكنية القروية؛ الأعراف الأمازيغية؛ التراث الفلاحي

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.251109

مُقَدِّمَةُ

تظهر أهميته المونوغرافية التاريخية في قدرتها على معالجة تفاصيل مهمة في التاريخ المحلي قد تغفلها الدراسات العامة. وتمنح التراث أرضية صلبة لاستيعاب الماضي من خلال سد النقص الوثائقي بالبحث عن الوثائق الدفينة، وجمع شتات الذاكرة الجماعية المتناثرة، وتوثيق وتثمين هذا الرصيد الذي يتعرض للتلف يوما بعد أخر. وتتجلى أهميتها أيضًا في التعريف بخصوصيات التراث الثقافي دراسةً وبحثاً وترميماً وتثميناً، دون أن يعني ذلك النكوص أو الحنين إلى الماضي، ولا تقديس ما خلفه الأجداد، بقدر ما هو حفاظ هويتنا الثقافية في زمن تراجع الهويات أمام مغريات المدنية الحديثة.

من هذا المنطلق يمكن اعتبار بلاد زيان واحدة من مناطق المغرب الجبلي العميق التي تزخر بتراث ثقافي غني ومتنوع. تجسده مواقع أثرية عريقة، ومدن وتجمعات سكانية أصيلة، وأضرحة شهيرة، وزوايا اتخذت من المنطقة منطلقا وقاعدة لحركاتها الصوفية والسياسية، وأعراف وعادات اجتماعية وطقوس فلاحية موغلة في القدم، وأشكال تضامن مجتمعية استمدت مكانتها من تنوع المجال وتعدد الإثنيات، وتقاليد حربية عريقة سمحت لهم بمقاومة شرسة للغزاة والمستعمر، وطاقات بشرية مهيأة لمواجهة شظف العيش وقساوة الحياة، وتراث فني متنوع يعكس حجم التعايش الاثني واللغوي.... ورغم ذلك ما يزال المجال يعاني كثيرًا من مظاهر التهميش وعُسر التنمية. من هنا جاءت فكرة هذه الدراسة

الموسومة بعنوان **نماذج من التراث الثقافي ببلاد زيان من العصر الوسيط إلى الزمن الراهن: دراسة وتثمين:**

لتثمين جانب مهم من تراثها لتجاوز ومحاولة وفتح آفاق استثمار ثقافي واقتصادي للموروث المحلي وجعله رافعة للتنمية.

١-أهداف البحث

سعت هذه الأطروحة لتوثيق أكبر قدر ممكن من مظاهر التراث الثقافي المادي واللامادي ببلاد زيان بنفض الغبار عن بعضها وإثارة انتباه الباحثين والعموم للبعض الآخر. وإبراز مظاهر استمرار هذا التراث خدمة للثقافة الزيانية وعبرها ثقافة المغرب العميق. ننطلق في ذلك من التعريف بالمواقع الأثرية والشواهد المادية المحلية لتجاوز التصور التقليدي الضيق للمنطقة. وتوثيق جوانب مهمة من التراث اللامادي الزياني انطلاقاً معطيات الذاكرة الجماعية قبل وفاة ممارسيه وحفاظه. والحرص على تقديم معطيات تاريخية تساعد على تثمينه، وضبط وتدقيق أسماء ووظائف العديد من الأماكن الزيانية ووضعها في دائرة النقاش دون السقوط في مطابقة تاريخ القبيلة بتاريخ قبائل أخرى في نفس المكان والزمان، وحتى يتجاوز الموضوع البحث النظري، ويكون له أثر وبعد عملي وتطبيقي قدمنا مقترحات لتثمين عناصر هذا التراث، واقترحنا مسارات سياحية متنوعة ومتعددة المضامين والمجالات المستكشفة، يمكن أن تصبح مشاريع قابلة للتطبيق العملي على أرض الواقع ذيلناها بمجموعة من التوصيات للفاعلين.

٢-الإطار الزمكاني للبحث

ركزت الدراسة على ببلاد زيان، خلال الفترة الممتدة بين ظهور الحواضر الزيانية الوسيطية إلى الزمن الراهن لنتمكن من تتبع مظاهر التطور في إطار الزمن التاريخي الطويل (*la longue durée*) الذي لا يعتبر التاريخ تاريخا مالم يستحضر هواجس الحاضر واستشراف المستقبل المنظور.

٣-إشكالية البحث وموضوعه

رصد مظاهر الاستمرار والتحول في التراث الثقافي الأصيل لبلاد زيان، ومدى مساهمته في تحقيق التنمية المحلية وحفظ جزء مهم من الهوية الوطنية؟

في محاولة للإجابة عن أسئلتها المحورية التالية:

لماذا الاهتمام بالتراث الثقافي؟ وما أهم مظاهره؟

كيف يتم تدبير التراث الثقافي في علاقته بالاقتصادي والطبيعي والسياسي أحيانا؟

ماهي السبل الممكنة لتثمين التراث الثقافي؟ وأي مستقبل للتراث الثقافي الزياني في ظل الامتداد الجارف للعولمة وتأثيرها على الأصالة الثقافية؟

٤-منهج البحث

سلكت دراسة الموضوع منهجا جمع بين استقراء المادة التاريخية، وخلاصات البحث الأثري. واستفدنا من الرواية الشفوية المقارنة لتعزيز المعطيات وسد البياضات. واعتمدنا على البحث الميداني بتفريغ معطياته في جداول، ورسوم، وأشكال، ومخططات، وتصاميم، ومسارات سياحية تعزز الخلاصات، كما انفتحنا على العلوم المساعدة كالجغرافيا، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم المتاحف، والقانون...، ووظفنا بعض التكنولوجيات الحديثة في التقاط وقص الصور وإنجاز التصاميم والرسومات والخرائط الضرورية.

٥-دوافع اختيار الموضوع

١/٥-الدوافع الذاتية

- الدفاع عن بالانتماء والتعلق بالمنشأ والرغبة في التعريف بتراثه الثقافي.
- العرفان بالجميل لثقافة غنية، ومحاولة لإخراجها من التهميش والضياع الذي تعانيه.

٢/٥-الدوافع الموضوعية

فتح موضوع بحثنا لنيل شهادة الماستر المتخصص "التراث والتنمية" الموسوم ب "ضريح الشيخ أبي يعزى أهميته المعمارية وأدواره الاقتصادية" الذي أنجزناه بذات الكلية تحت إشراف الدكتور الحاج موسى عوني سنة٢٠١٢م الأفق لتوسيع مجال وموضوع الدراسة إيمانًا منا بأن الدراسة المونوغرافية جزء لتبيان الكل، وعنصر مساعد في كتابة التاريخ الوطني.

كون المنطقة لم تحظ بالاهتمام الكافي من لدن الباحثين المغاربة خاصة في الشق التراثي.

فتح آفاق جديدة للبحث العلمي في مجموعة من النقاط التي لم تتسع لها هذه الأطروحة.

٦-دراسة المصادر والمراجع

الوثائق:

مجموعة من الوثائق المخزنية، والجريدة الرسمية للمملكة، وبعض وثائق الأرشيفات الوطنية والأجنبية، ورحلات وتقارير ضباط الاستعلامات الفرنسية خاصة خلال المرحلة السابقة لاحتلال البلاد كما اطلعنا على مستجدات تقارير البعثات الأركيولوجية إلى موقعي "فازاز" و"معدن عوام"، دون إغفال جديد تصنيفات وزارة الثقافة. كما حاولنا النبش في مخطوطات ووثائق خاصة في ملكية عائلات وأعيان المنطقة.

اعتمدنا في البيبليوغرافيا العربية على مصادر ومراجع متعددة:

- كتب التاريخ العام التقليدية: خاصة كتب أبو القاسم الزياني خاصة "الترجمانة الكبرى" و"البستان الظريف" التي تعد عماد الباحث في التأريخ لأصل القبيلة، إلى جانب "المقدمة" و"تاريخ العبر"، و"تاريخ الدولة السعيدة"، و "الاستقصا" و"طلعة المشتري" و"إتحاف أعلام الناس"
- كتب الرحلات: أبرزها "الاستبصار"، و"وصف إفريقيا" و"إفريقيا"، اللذان دونا معلومات مهمة عن معدن عوام وتاغية.
- كتب النوازل: وأهمها "المعيار المعرب" خاصة في نوازل التصوف، وفقه البنيان.
- كتب التصوف: أبرزها "التشوف" و"المُعزى في مناقب أبي يعزى"، و"نشر المثاني"، و"البدور الضاوية".
- المونوغرافيات التاريخية: من أبرزها "كباء العنبر" و"تاريخ بلدة خنيفرة"، لمؤرخ زين المعاصرة أحمد المنصوري، وأطروحة "إينولتان" التي تعد بحق الحجر الأساس لمشروع المونوغرافيات التاريخية بالمغرب.

المصادر الأجنبية بالفرنسية أهمها:

Tadla. Pays Zaïan, Moyen Atlas لصاحبه Peyronnet وأخرى معربة ك "التعرف على المغرب" للراهب الفرنسي المتنكر De Foucauld، و"أعراف قبائل زايان" ل Aspinion الذي استفاد من إلمامه باللغة المحلية لتقديم خلاصة إقامته بالمنطقة لمدة اثني عشر سنة. و"الجبل الأمازيغي آيت اومالو وبلاد زايان: المجال والإنسان والتاريخ" و"صوت الجبل" للقبطان القبائلي Guennoun Saïd. و "موحى وحمو الزياني" لفرانسوا بيرجي. و"البربر المغاربة وتهدئة الأطلس المركزي (١٩١٢-١٩٣٣)" للجنرال كيوم إلى جانب الكتب ساعدتنا المجلات الكولونيالية في الإمساك بالخطوط العريضة للموضوع خاصة مجلة Archives Berbères، Hespéris، و"هيسبيريس ثمودا" ، وجريدة السعادة والموسوعات والمجموعات الوثائقية ك "Encyclopédie Berbère"، ومعلمة المغرب، وموسوعة المقاومة.

الدراسات المعاصرة:

أبرزها "الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي"، لمحمد حجي، وأطروحة الباحث إدريس أقبوش "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بمنطقة زيان خلال فترة الحماية (١٩١٢-١٩٥٦)". وأطروحة محمد بلحسن في موضوع le résistance marocaine a la pénétration française dans le pays zain 1908-1921 التي ركزت على الجوانب العسكرية في تراث المنطقة.

كما وظفنا عناصر الثقافة الشعبية من أقوال وأمثال وأهازيج مأثورة، واستعنا بالرواية الشفوية المقارنة في توثيق التراث اللامادي والأحداث التي عاشها المستجوبون أو كانوا قريبين منها لملء البياضات، مع توخي الحيطة المطلوبة في هذا الشأن.

٧-خطة البحث

جاءت الأطروحة في باب تمهيدي وبابين رئيسين:

الباب التمهيدي الإطار المفاهيمي والجغرافي والسوسيو تاريخي للتراث الثقافي ببلاد زيان

قدم فصله الأول مدخلاً مفاهيميًا رسم حدود الموضوع وشرح مصطلحاته وعنوانه. وأعطى الفصلان الثاني والثالث للقارئ على التوالي نبذة مختصرة عن الإطارين الطبيعي والبشري للأطروحة. وتطرق الفصل الرابع لبعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية المساعدة على فهم العديد من مظاهر تراث المنطقة.

وتناول الباب الأول **التراث الثقافي المادي ببلاد زيان** في سبعة فصول:

درس الفصل الأول أهم مظاهر التراث الأركيولوجي ببلاد زيان وقدم الفصل الثاني أهم ملامح من التراث الثقافي بمدينة خنيفرة العتيقة وسبل تثمينها. وتطرق الفصل الثالث لأبرز أضرحة بلاد زيان وآليات تثمينها. وتناول الفصل الرابع بالدراسة والتحليل أهم زوايا بلاد زيان في ثلاثة مباحث. وجاء الفصل الخامس الموسوم ب العمارة العسكرية ببلاد زيان: الدراسة والتثمين، بينما جاء الفصل السادس بعنوان "القناطر ومواقع الذاكرة التاريخية ببلاد زيان" في مبحثين تناول أولهما أهم القناطر التاريخية ببلاد زيان، وتطرق المبحث الثاني لأهم مواقع الذاكرة التاريخية ببلاد زيان. وأتى الفصل السابع تحت عنوان "المخازن الجماعية والعمارة السكنية القروية ببلاد زيان" في مبحثين: تطرق أولهما لنماذج من هذه المخازن الجماعية وبعض آليات تثمينها، وحاول المبحث الثاني إبراز أنواع وخصوصيات العمارة السكنية القروية ببلاد زيان.

وتطرق **الباب الثاني لنماذج من التراث الثقافي اللامادي ببلاد زيان** في سبعة فصول:

حاول الفصل الأول التعريف بأهم الصنائع التقليدية التي ضمنت عيش الزيانيين من خلال سبعة مباحث تضمنت مقترحات لتثمين الصناعة التقليدية الزيانية. ودرس الفصل الثاني نماذج من الأعراف الأمازيغية ببلاد زيان. وتناول الفصل الثالث جوانب من التراث الفلاحي الزياني وسبل ضمان استمراريتها. وجاء الفصل الرابع لدراسة أسواق بلاد زيان وأشكال التكافل الاجتماعي التي تقوي الشعور بالانتماء والروابط الاجتماعية بين قبائلها.

درس الفصل الخامس "جوانب من اللباس والحلي ببلاد زيان" من خلال ثلاثة مباحث، وعرج الفصل السادس على الأدب الشعبي والتعبير الموسيقي والحركي ببلاد زيان وسبل تثمينه في ثلاثة مباحث عالج أولها المسرح الشعبي وفن الألغاز على أرض زيان، ورصد الثاني خصوصيات الشعر والغناء الشعبي، ودرس الثالث مميزات أحيدوس زيان. وخصص الفصل السابع لبسط نماذج من المشاريع المنجزة لثمين التراث الثقافي ببلاد زيان، وبعض مقترحات الباحث من خلال استثمار كل المؤهلات الثقافية في مسارات سياحية موضوعاتية. وختمنا هذا البحث بخاتمة عامة وتوصيات للفاعلين في مجال التراث الثقافي.

٨-الصعوبات

واجهت الباحث العديد من الصعوبات أثناء العمل أبرزها:

غياب مندوبيات للسياحة والثقافة بالمنطقة، وبالتالي غياب الحاضن والمخاطب الرسمي للباحث. وضعف المادة العالمة بسبب ضعف التدوين، وموت الشيوخ والعارفين. وطمس العديد من مظاهر الثقافة الزيانية مما تطلب منا وقتا أطول ومجهودا أكبر لتوطينها بدقة وتحديد خصوصياتها. والتداخل الكبير بين الثقافتين العربية والأمازيغية بحكم علاقات الزواج والهجرة مما فرض علينا تتبع أوجه الاختلاف.

صعوبة الحصول على بعض أرشيف الإدارات، وتحول محتويات خزائن بعض المؤسسات الدينية إلى ملك عائلي وإحجام المسؤولين عن وضعها في مناول للباحثين. ووعورة المسالك التي اجتازها أحيانا من أجل الحصول على معلومة واحدة أو التحقق من أخرى أو التقاط صورة. ووفاة العديد من الرواة قبل إتمام المقابلات، وتعدد الروايات والدلالات. وصعوبة الوفاء لمعنى نصوص التراث اللامادي المترجمة التي تفقد الكثير من أسلوبها وجماليتها رغم الحفاظ على المعنى.

لكنه تغلب على معظم هذه الصعوبات بفضل توجيهات الأستاذ والمساعدات التي قدمتها لنا المؤسسات المعنية مشكورة، والإلحاح في السؤال، والتغيير المستمر لأساليب البحث، وتحدي الظروف الطبيعية تمكنا من التغلب على معظم هذه الصعوبات.

الخلاصات والتوصيات

حاصل القول إن أرض زيان يمكن أن تستفيد من القيمة الاستثنائية لعناصر موروثها الثقافي وأبعاده التاريخية والإنسانية والرمزية الجمالية. ولعل أهم ما سجلناه هو أن مجال الدراسة حقل خام للبحث والاستكشاف والمشاهدة. فالمنطقة متحف كبير مفتوح يوفر خيارات متعددة لممارسة سياحة ثقافية وطبيعية - بيئية.

يستفيد تراث زيان المادي من تعدد روافد الهوية الثقافية، خاصة المعالم الأثرية التي تبرز حجم مساهمة المنطقة في صنع تاريخ البلاد. وتشهد التجمعات السكانية العتيقة التي تتوفر فيها معظم شروط العمارة الإسلامية، على حجم التنظيم الاجتماعي الإداري والسياسي الذي رافقها. ويقدم تعدد الأضرحة الكبرى والقبلية، والزوايا الطرقية والطوائف الدينية بالمنطقة عبر تاريخها، صورة مشرقة عن التسامح الديني الذي ساد بالاتحادية، ويبرهن التنوع الإثني على حجم التعايش الاجتماعي على هذه الأرض. ويبرز تعدد والقصبات والقلاع المخزنية على أرضها حجم قوة الاتحادية التي صنفت٢٠ ضمن بلاد السيبة التي تؤمن بالحرية في الجبل حيث لا سيد إلا الله. وتجسد كثرة القناطر والجسور التاريخية المكانة الاستراتيجية لمنطقة شكلت ممرا سلطانيا بين العواصم التقليدية، بل وعاصمة للبلاد لمدة لا تقل عن ربع قرن زمن الدلائيين. ينم تنوع مواقع الذاكرة التاريخية كأجدير وجن الماس وضريح موحى اوحمو...عن ذاكرة جماعية كبيرة. ويساعد اختلاف مظاهر الإبداع في أنماط العمارة بين السهل، والدير، والجبل، على فهم التنوع الثقافي الذي تزخر به المنطقة. ويعطي تعدد أشكال ومواقع وهندسة المخازن الجماعية فكرة عن التدبير الجماعي والعائلي والفردي للمؤن.

يفوق انتشار التراث اللامادي على أرض زيان نظيره المادي بالنظر لتأخر التدوين وغلبة الطابع الشفهي على ثقافة المنطقة. وتأكيدا لذلك تجاوز صيت بعض الحرف التقليدية الزيانية حدود البلاد، خاصة النسيج الزياني ذي التحف الفنية الرائعة التي تجسد تفوق

المرأة الأمازيغية. وصُنفت زيان أكبر قبائل العرف قبل الحماية، لتتخذه سلطاتها بعيد احتلال خنيفرة قاعدة لقوانينها العرفية في كل البلاد. وماتزال المنطقة مضرب المثل في الحفاظ على مجموعة من الأعراف، التي أثبتت موافقتها للشرع وحاجيات المجتمع خاصة ما يتعلق بالمنازعات الفلاحية والقبلية والمهنية، ولازالت بعض قبائلها تحيي مهرجانات ومواسم للاحتفال ببعض الطقوس العرفية.

وفي مجال التراث الفلاحي يلتزم معظم فلاّحي المنطقة حتى اليوم بمعظم قواعد وحكم المنازل الفلاحية، التي تضمن حسن تدبير مراحل الموسم الفلاحي. ويحافظ الانتجاع بين الجبل والسهل على مجموعة من طقوسه وعاداته كالجز والخيام، رغم تطور وسائل النقل، والقيود القانونية التي حدت من انتشاره، وتحولت الخيمة من سكن رئيسي إلى سكن مناسباتي، لكن حجمها وجودة نسيجها ظلا رمزا للتباهي بين العائلات والقبائل في المهرجانات والمواسم. وحافظت الأسواق الأسبوعية والموسمية على مكانتها كملتقيات اقتصادية واجتماعية وثقافية تختصر تاريخ وتراث القبائل، وفيها يرسم حاضرها ومستقبلها.

ماتزال مجموعة مظاهر التكافل الاجتماعي مستمرة ببلاد زيان، حيث لا يتوانون عن تفعيل نظام "تيويزي ن المحبة" فيما بينهم كلما دعت الحاجة لذلك، مع تسجيل بداية اضمحلال "تيويزي ن الدرع" أو نظام السخرة بوفاة العديد من كبار الملاكين. وتراجعت "تاضا" أو "طاطا" بانتفاء الشروط التي فرضتها، كانعدام الأمن والصراعات القبلية، لكنها ضمنت استمراريتها بين مجموعة من العائلات خاصة عند عرب غرب زيان ممن كانت أخوتهم مبنية على قواعد اجتماعية متينة بعيدا عن تحالفات المصالح. واستمر نظام "أكدال" في بعض القبائل كنظام فعال في تدبير المراعي، وبدأت قبائل أخرى بالعودة إلى تطبيقه خاصة مع توالي سنوات الجفاف.

إثنوغرافيا نجح الزيانيون في ضمان استمرارية ملابسهم التراثية كالجلباب والسلهام، والشربيل، والحندورة وليزار والشقة... مع الحرص على مواكبتها لروح العصر. ووظفت الزيانيات التكنولوجيات الحديثة لجعل ملابسهن وحليهن أكثر شهرة داخل البلاد وخارجها. يتم ارتداؤها في مختلف المناطق وخلال مختلف المناسبات خاصة الأعراس التي تشرف عليها مزينات محترفات. واستمر الوشم في كتابة رموزه الواضحة حينا والغامضة أحيانًا، على الأعضاء البارزة من أجساد النساء والرجال والشباب، وإن اختلفت طرقه ووسائله ودلالاته.

في المجال الفني استطاع الزيانيون تكييف فن الحلقة مع أحزانهم وأفراحهم اليومية التي أنجبت فنانين كبار أمثال "لحسن أزايي". شكلت ألغازهم تمارين ذهنية للصغير والكبير، واستمر الشعر لغة قوم لم تكن لهم لغة أبلغ منه، رغم غياب أو ضعف التدوين باستثناء ما وثقته الإذاعة الأمازيغية وبعض المهتمين. وظل أحيدوس العائلي تجسيدا لفرحهم المستمر في المناسبات العائلية، أو تحت ضوء الليالي المقمرة في الهواء الطلق عند نهاية الأشغال الفلاحية، لذلك يحرصون على تلقين قواعده للأجيال القادمة. ويواصل أحيدوس الاحترافي مسيرة شهرته داخل البلاد وخارجها.

عمومًا ورغم كل ما يقال عن دور الصدمة الاستعمارية والتغيرات الاجتماعية السريعة التي يعرفها المجتمع المغربي بعد الاستقلال، مازالت بلاد زيان محافظة على البنيات القبلية التقليدية التي تتجلى بشكل واضح خلال الانتخابات حيث تشتد العصبيات القبلية لدرجة لا يخلو معها السواد الأعظم من الدعايات الانتخابية من صراعات بالعصي والحجارة هنا وهناك.

ولعل أهم ما سجلته الأطروحة هو:

- تعدد المعالم الأثرية التي تبرز حجم مساهمة المنطقة في صنع تاريخ البلاد.
- دلالة التجمعات السكانية الزيانية العتيقة وتتوفر معظم شروط العمارة الإسلامية على حجم التنظيم الاجتماعي الإداري والسياسي الذي رافقها.
- يقدم تعدد الأضرحة والزوايا والطوائف الدينية بالمنطقة صورة عن التسامح الديني الذي ساد بالاتحادية، ويبرهن التنوع الاثني على حجم التعايش الاجتماعي على هذه الأرض.
- يبرز تعدد والقصبات والقلاع على أرضها حجم قوة الاتحادية التي صنفت٢٠ ضمن بلاد السيبة.
- تجسد كثرة القناطر والجسور التاريخية المكانة الاستراتيجية لمنطقة شكلت ممرا سلطانيا بين العواصم التقليدية.
- يساعد اختلاف مظاهر الإبداع في أنماط العمارة بين السهل، والدير، والجبل، على فهم التنوع الثقافي الذي تزخر به المنطقة.
- يعطي تعدد أشكال ومواقع وهندسة المخازن الجماعية فكرة عن التدبير الجماعي والعائلي والفردي للمؤن.

- تجاوز صيت بعض الحرف التقليدية الزيانية حدود البلاد، خاصة النسيج الزياني ذي التحف الفنية الرائعة التي تجسد تفوق المرأة الأمازيغية.
- صُنفت زيان أكبر قبائل العرف قبل الحماية، لتتخذه سلطاتها بعيد احتلال خنيفرة قاعدة لقوانينها العرفية في كل بلاد العرف.
- التزام معظم فلاّحي المنطقة بمعظم قواعد وحكم المنازل الفلاحية، التي تضمن حسن تدبير مراحل الموسم الفلاحي حتى اليوم.
- محافظة الانتجاع على معظم طقوسه وعاداته كالجز والخيام، رغم قيود الملكية الخاصة، تطور وسائل النقل، وتحول الخيمة سكن مناسباتي.
- حافظت الأسواق الأسبوعية والموسمية على مكانتها كملتقيات تختصر تاريخ وتراث القبائل، وفيها يرسم حاضرها ومستقبلها.
- استمرار مظاهر التكافل الاجتماعي عند زيان كلما دعت الحاجة لذلك.
- استمرار نظام "أكدال" في عدة القبائل كنظام فعال في تدبير المراعي، وعودة قبائل أخرى بالعودة إلى تطبيقه مع توالي سنوات الجفاف.
- نجاح الزيانين في ضمان استمرارية ملابسهم التراثية ومواكبتها لروح العصر مع الحرص على جعل ارتدائها في مختلف مناطق البلاد خلال مختلف الأعراس التي تشرف عليها مزينات محترفات.
- استمرار الوشم في كتابة رموزه الواضحة حينا والغامضة أحيانا، على الأعضاء البارزة من أجساد النساء والرجال والشباب، وإن تطورت الطرق والسائل والدلالات.
- كيف الزيانيون فن الحلقة مع أحزانهم وأفراحهم اليومية التي أنجبت فنانين كبار أمثال "لحسن أزايي". وشكلت ألغازهم تمارين ذهنية للصغير والكبير. وظل أحيدوس العائلي تجسيدًا لفرحهم المستمر في المناسبات، أو تحت ضوء الليالي المقمرة عند نهاية الأشغال الفلاحية، بينما يواصل أحيدوس الاحترافي مسيرة شهرته داخل البلاد وخارجها.

عمومًا ورغم كل ما يقال عن دور **الصدمة الاستعمارية** في التغيرات السريعة التي يعرفها مغرب ما بعد الاستقلال، مازالت بلاد زيان محافظة على البنيات القبلية التقليدية التي تتجلى بشكل واضح خلال الانتخابات حيث تشتد العصبيات القبلية لدرجة لا يخلو معها السواد الأعظم من الدعايات الانتخابية من صراعات بالعصي والحجارة هنا وهناك.

لكن يستوجب تثمين التراث الزياني القيام ببعض الخطوات أهمها:

- التعجيل بإحداث مندوبيتين للثقافة والسياحة ومفتشية للمباني التاريخية بإقليم خنيفرة، حتى يصبح للفاعلين محاور وشريك رسمي في مشاريع التثمين.
- إشراك ملاك العقارات والمعالم التراثية المعنية وجيرانها أفرادا أو جماعات في مختلف المشاريع التنموية.
- تشخيص وصيانة التراث المعماري الزياني بعقد شراكات مع هيئات ومنظمات دولية ومهندسين، ومؤرخين، وأركيولوجيين، ومقاولين ذاتيين، وجامعات، ومؤسسات خاصة لإنقاذ وترميم وكشف المغمور منه. وتمويل مشاريع مندمجة لتأهيله.
- إحداث ورشات للبحث والدراسات التقنية والتنقيب والترميم بالمواقع الأثرية، وداخل النسيج العتيق للمدينة القديمة وفق المعايير التقنية والعلمية. وتشوير وإنارة المواقع التاريخية والترويج لها بشراكة مع معهد الآثار والتراث.
- تفعيل مشروع بناء متحف تفاعلي للتاريخ والتراث الثقافي بالمنطقة
- رقمنة المخطوطات والكنانيش والظهائر المتعلقة بالمواقع الزيانية وتضمينها في "السجل الوطني للجرد".
- تكوين شباب في الحرف المهددة بالاندثار ودعم إحداث وورشات لتطويرها، وتخصيص سوق لائق بهذه المنتوجات وسط المدينة العتيقة.
- دعم البنية الطرقية بالمحاور الجبلية، وتحسين أسلوب التشوير والإرشاد لتحقيق العدالة المجالية
- تهيئة محطات للرياضات الجبلية والمائية، وإحياء نوادي للرماية الفروسية وإحداث مراكز للقنص، ومخيمات تابعة للشباب والرياضة، ومراصد لذاكرة الجبل. مع الحرص على تكوين المثقفين من أبناء الجبل كمرشدين سياحيين جبليين
- إنتاج برامج وأفلام وثائقية تعريفية بالتراث الزياني، وتقديمه في والتظاهرات الوطنية والدولية بشكل معقول ومقبول لا يطغى عليه الجانب الفرجوي.
- تنظيم تظاهرات ومهرجانات وأسابيع ثقافية تسهر على تدبيرها هيئات مستقلة عن التقاطبات السياسية وخلق شراكات وتوأمات مع مهرجانات أخرى.
- إشراك التعليم المدرسي والجامعي في التعريف بأدوار التراث الثقافي في التنمية بتدريسه في الجامعات الثلاث المجاورة ودعم البحث في هذا المجال.

في نهاية هذا العمل لا يدعي الباحث الإلمام بكل عناصر التراث الثقافي الزياني، وإن ما قام به محاولة مستمرة لنفض الغبار عن بعض جوانبه لم تتوقف بنهاية هذا العمل. وفتح ملفاته أمام باحثين من مشارب فكرية متنوعة لتحقيق التراكم المعرفي المطلوب لتثمين هذا الموروث.